مجلة الرائد

العدد : ٢١٠ الموافق في صفر ١٤٢٠ هجري ٦ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : مأساتان جوهرهما واحد وإن اختلفت المواقف !	بقلم : أ. متولي موسى

مأساة المسلمين في فلسطين مع الصهاينة جوهرها الصراع العرقي باسم التوراة ، ومأساة المسلمين في البلقان عامة وكوسوفا خاصة جوهرها الصراع العرقي مع الصرب باسم حماية أوروبا من المسلمين ، وفي كلا الموقعين يقتلع شعب من أرضه وتهدم البيوت على رؤوس ساكنيها ويشرد الرجال والنساء والأطفال في بلاد العالم المختلفة ، وإن اختلفت مواقف أمريكا وأوروبا مع غياب الموقف العربي والإسلامي ، وسوف يعالج هذا المقال المرحلة الأخيرة في هذه الأيام من خلال المواقف المعلنة :

أولاً : مأساة المسلمين في فلسطين :

صوت « الكنيست » في يوم ١٩٩٨/١٢/٢١م على قرار إجراء انتخابات مبكرة يوم ١٩٩٩/٥/١٧م ، يصوت فيها من له حق الانتخابات في « الكيان الصهيوني » ببطاقتين : الأولى للتصويت على رئيس الوزراء الذي يرغب فيه ، والأخرى على الحزب الذي يمثله في الكنيست .

ولقد أجريت الانتخابات كمحاولة لإعطاء الناخب الفرصة في اختيار من يحقق له الأمن والسلام ، مع العلم أن ما يجري هو نوع من ترتيب البيت الداخلي لتحقيق أكبر قدر من المكاسب ، خاصة أن هناك اتفاقاً على القضايا الأساسية في العلاقات مع الفلسطينيين : فالقدس عاصمة موحدة للكيان الصهيوني ، والموقف من قيام دولة فلسطينية واحد والموقف إعادة الانتشار يتراوح بين ٤٠ و٥٠% ولا عودة لحدود ١٩٦٧م والموقف ، من المستوطنات الكبيرة على الأقل واحد ...

فالخلافات بين المرشحين ستظل في الكيفية التي سيتم التعامل بها مع عملية التسوية دون الجوهر ، لأن الاتفاق على الخطوط الحمراء التي لا يمكن تجاوزها بين العمل والليكود والأحزاب الدينية قائم ، والجديد في الانتخابات - وقد كان ذلك متوقعاً - هو تفكك الأحزاب الكبرى وزيادة عدد الأحزاب حتى أن أكبر حزب فاز بـ ٢٧ مقعداً فقط .

والمثير للشفقة والدهشة في آن واحد هو موقف العرب والفلسطينيين حيث أن المواقف المعلنة كانت تؤيد « ايهود باراك » وفتحت وسائل الإعلام العربية الدعاية له ، وطلب من عرب الأرض المحتلة ١٩٤٨ ، والذين يحملون بطاقات انتخاب ، أن يدلوا بأصواتهم لصالح حزب العمل ورئيسه !! . وكانت الانتخابات ، وفي اليوم التالي كانت الجرافات تمهد لبناء مستوطنة جبل أبوغنيم ، و " ايوهد براك " يصرح بأن القدس عاصمة موحدة لإسرائيل .. إلخ .

ثانياً : مأساة المسلمين في البلقان عامة وكوسوفا خاصة

الوضع في منطقة البلقان يدمي قلب كل مسلم غيور ، حيث يتم اقتلاع الإسلام من هذه المنطقة ، فلا تزال العنصرية مسيطرة على قلوب الصرب ، فالحقد الديني على الإسلام والمسلمين متغلغل في النفوس ، وهذا ما صرح به قادة الصرب قائلين : " نحن فرسان الصليب ، ونقوم اليوم بما كان يقوم به أجدادنا ". أي أن الحملة الجادة لاقتلاع جذور الإسلام في البوسنة وكوسوفا وألبانيا ... مع العلم أن مسلمي هذه البلاد أوروبيين ، وليسو وافدين عليها من خارج أوروبا .

نعم ، يقوم حلف شمال الأطلسي بقصف جوي في منطقة البلقان ونسمع كل يوم بيانات صادرة من العواصم الأوروبية ومن بروكسل تؤكد على ضرورة استمرار القصف حتى يقبل « سلوبودان ميلوزفيتش » بشروط الحلف ، والواقع أنه ما يتم على الأرض هو مأساة بكل ما تحمل هذه اللفظة من معنى ، فإقليم كوسوفا يكاد يفرغ من سكانه الذين يتعرض كثير منهم للمذابح ويموت آخرون بآلة الحرب الصربية أو آلة الحرب التي يستخدمها حلف الناتو ، كما يموت آخرون لفقد الطعام والدواء ، وعشرات الآلاف يشردون داخل الإقليم أو خارجه في كل أسبوع .. إلخ .

والسؤال المطروح : ماذا بعد القصف ؟ وماذا بعد إفراغ الإقليم من سكانه ؟! إننا نسمع بأن قوات الحلف ستعمل على عودة السكان إلى الإقليم ، ولكننا سمعنا مثل هذا الكلام بالنسبة لأهل البوسنة والهرسك ، والواقع أنه تم تقسيم البوسنة بحيث أقام الصرب كيانهم وألحق المسلمون مع الكروات في كيان هزيل يتبين على الزمن أن السيطرة فيه ستكون للكروات ، وهناك أعداد كبيرة من البوسنيين لم تعد من مهجرها ، ولا يتوقع عاقل أن حظ الكوسفيين الألبان سيكون أفضل من إخوانهم البوسنيين ..

ثالثاً : مواقف الغرب وأمريكا من المأساتين وموقف المسلمين

الموقف من مأساة الشعب الفلسطيني

منذ إعلان قيام الكيان الصهيوني كانت مواقف أوروبا وأمريكا داعمة للكيان الصهيوني على طول الخط ، بل إن أمريكا استخدمت حق النقض في مجلس الأمن عشرات المرات ضد أي قرار يدين الممارسات الصهيونية الوحشية والفظيعة خلال أكثر من خمسين سنة ، وحتى بعد موافقة العرب جميعاً والفلسطينيين خاصة على الدخول مع الكيان الصهيوني في تسويات ، لم تتمكن أوروبا وأمريكا خاصة الضغط على حكومة الكيان الصهيوني لتنفيذ االاتفاقيات التي تمت برعاية أمريكا وآخرها اتفاق « واي بلانتشن » الذي رعاه الرئيس الأمريكي شخصياً ، ولكل عاقل أن يتساءل : ما قيمة الاتفاقات التي توقع

هنا وهناك ثم يتم إلغاء بنود منها أو تعديلها أو التنصل منها حتى لو قدمت الانتخابات ؟!

لقد التزم الفلسطينيون بجميع بنود الاتفاقات التي تم توقيعها في أسلو١ وأسلو٢ وواشنطن والقاهرة واتفاق الخليل وأخيراً اتفاق واي بلانتشن ، ولكن حكومات الكيان الصهيوني : (حكومة رابين وبيريز ونتنياهو) ضربت بكل هذه الاتفاقات عرض الحائط ، ولم يتم إعادة الانتشار في الضفة الغربية في المراحل الثلاثة ، ولم يتم إقامة الممر الآمن بين مناطق الحكم الذاتي ، ولم يتم السماح ببناء الميناء ، واقتصاد السلطة الفلسطينية في يد الصهاينة حتى المياه ، و لازال أكثر من ثلاثة آلاف معتقل فلسطيني في سجون الكيان الصهيوني .. إلخ

حتى الذي تم إنجازه من الاتفاقات محدود جداً فإن رقعة الأرض التي تحت يد السلطة الفلسطسينية أقل من ١٠% من أرض فلسطين ، وهي مناطق حضرية مزدحمة بالسكان ، تمزقها الطرق الإلتفافية التي أنشأها الكيان الصهيوني بدعوى أمن المستوطنات المتناثرة في الضفة والقطاع ، وكل السلطات الممنوحة للسلطة الفلسطينية محدودة بالشروط المفروضة بحجة الأمن ، فضلاً عن وجود مشكلات حادة في مجال الاقتصاد والمياه ..

حتى الانتخابات الجديدة قد تمت بعد انتهاء مدة الخمس سنوات التي حددها اتفاق أوسلو١ للفترة الانتقالية ، ولا يعرف كيف ستتم عملية استئناف المباحثات للمرحلة النهائية ؟!

٢. موقف أوروبا وأمريكا من مأساة كوسوفا

إن المتأمل في لموقف أمريكا وأوروبا من الصراع في منطقة البلقان يتساءل : لماذا أصرت أمريكا على إعطاء الصرب قسماً من البوسنة وهو يصل إلى نصف البلاد تقريباً ولا يتناسب مع عدد الصرب ، مع الإصرار على وجود المسلمين مع الكروات في اتحاد يعيش على ٥١% من أرض البوسنة وهو لا يتناسب مع عدد السكان الذي يمثل المسلمون فيه الأغلبية ؟!

وكذلك في اتفاق رامبوييه الخاص بإقليم كوسوفا أكدت أوروبا وأمريكا أن الإقليم جزء من يوغسلافيا ، وليس لأهله إلا القبول بحكم ذاتي ، وفي نفس الوقت من حق الصرب أن يشاركوا في الإدارة المحلية في كافة أنحاء كوسوفا ، وأن قوات الأمن في الإقليم بعد انتهاء فترة وجود قوات حفظ الأمن تؤول إلى الصرب .

لابد وأن لأمريكا وأوروبا مصلحة عسكرية واقتصادية من هذا القصف ، وقد تكون المصلحة الكبرى لأمريكا التي تسعى إلى تثبيت وجودها في أوروبا ليكون العالم أطراف هي وحدها المركز فيه ،

وهو الذي ربما تخشى بعض الدول الأوروبية منه ولكنها لا تفصح عن ذلك علناً ، وربما يظهر ذلك في مقبلات الأيام تحت ستار المطالبة بوقف القصف والبحث عن حلول سلمية ...

وإذا توقف القصف فإن قضية كوسوفا ستصبح قضية شعب مضطهد تعرض للقتل والتشريد والتدمير ، ويتم البحث عن حل على أساس قضية إنسانية إغاثية ، ويكون الصرب قد تحققق لهم تفرغ الإقليم من السكان ، ولا يدري أحد كيف ستتم إعادة من شرد ونقل إلى بلاد نائية مثل كندا وأستراليا ، وما هي جدوى اتفاقات لا يمكن تنفيذها في أرض الواقع كما هو الحال مع اتفاق « دايتون » الخاص بالبوسنة والهرسك ؟!

٣. مواقف العرب والمسلمين من المأساتين

إن المستقرئ لمواقف العرب والمسلمين من هاتين المأساتين يجد أنه موقف التخاذل ، فلم يقوموا بواجبهم في نصرة هذه الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها ، بل على عكس ما أمر الله تعالى فإننا نجد المسلمين مشغولين بخلافاتهم على الحدود على مستوى البلاد ، وبين الشعوب والحكومات على مستوى البلد الواحد ، حتى وصل الأمر إلى أن المسلم يقتل أخاه في الصومال وأفغانستان وفي إريتريا .. إلخ ، لقد ابتعد هؤلاء عن حقيقة الإسلام الذي يطالب المسلمين بتحقيق معنى الأخوة والنصرة في الدين مصداق قول الله تعالى : { **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر** } [الأنفال:٧٢] . ومصداق قول الرسول ﷺ : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم ، وهم يدٌ على من سواهم ، يرد مشدهم على مضعفهم ، ومسرعهم على قاعدهم ، لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده "[صحيح الجامع للشيخ محمد ناصر الدين الألباني : حديث حسن ورقمه ٦٥٨٨)

رابعاً : نتائج وبيان

المنظمات الدولية ، والشرعية الدولية ، ومنظمات حقوق الإنسان في النظام العالمي الجديد لا تملك حماية الضعفاء إلا إذا وافقت الولايات المتحدة الأمريكية ، كما أن العلاقات والمصالح الدولية لا تشعر بالحرج إذا ديست الشعارات المرفوعة مثل حقوق الإنسان وحق تقرير المصير إذا كان في ذلك تحقيق مصالح القوى المتنفذة .

وحتى لو تحركت القوى المتنفذة ورعت اتفاقات مثل اتفاق أوسلو واتفاق دايتون واتفاق رامبوييه فمعظم هذه الاتفاقات تعني إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه ، والاعتراف بحقه فيما اغتصبه ، فضلاً عن تمكين المعتدي من البقاء على عدوانه ، بالرغم من إجماع الأعراف والشرائع على حرمة

الغصب ، ووجوب رد المغصوب إلى أهله.

٢. كل المعاهدات التي تعقد بالقوة والإرغام - كما هو الحال في معاهدات الكيان الصهيوني مع الفلسطينيين ومعاهدات الصرب مع مسلمي البوسنة كذلك المعاهدات التي قد تفرض على مسلمي كوسوفا ، كل هذه المعاهدات لا تلتزم بها الأمة الإسلامية عند استعادة عافيتها ، لأن من وقعوا هذه المعاهدات أكرهوا عليها ، فضلاً عن أن عدم التوقيع عليها معناه بالنسبة لكثير منهم الهلاك والموت والتشريد ، كما أن مضار هذه المعاهدات أكبر من فوائدها .

٣. ألم يأن للمسلمين أن يستفيقوا من غفلتهم ، ويدركوا أسباب السكوت عن الصراعات اليهودية والنصرانية المُسيسة ، في حين يتهم الإسلام بالإرهاب والعنف ، وتجمع وسائل الإعلام على تخويف الشعوب من الإسلام ؟

لمصلحة من يعمل على إيقاف الأنشطة الإسلامية بحجة عدم تسيس الدين ، في حين تمتد السواعد للأنشطة الدينية اليهودية والنصرانية ؟

إنني أعتقد أن العلمانية على أبواب الفشل كما فشلت الشيوعية ، ونظراً لأن البديل الواعد الذي إذا قدم كما أنزله الله تعالى هو الإسلام ، فلا يراد أن يقدم الإسلام بصورته الناصعة لأنه رحمة للعالمين الذين يفتقدون هذه الرحمة ، وبالتالي قد تضييع مكاسب أنظمة استمرت تبذل جهداً على مدى أكثر من قرنين من الزمان لتثبيت قواعدها والحفاظ على مكاسبها ، فهل من مدكر ؟! .